تلك أنا

رجاء سرور

في لحظة هدوء وصمت، ارتسمت ابتسامة على وجهي حين عادت بي الذاكرة لسنوات بعيدة مضت ... حين بدأت حياتي الدراسية وبدأت ملامحها تتأصل ومبادئها تتثبت. المرحلة الابتدائية الرائعة التي كانت في السعودية، وكانت على يد معلمات رائعات، حيث كانت لهن بصمة واضحة في نفسي، وعلى أيديهن تأسست مبادئي وأفكاري ونظرتي لكثير من الأمور في الحياة.

جانب من مشاركة المعلمة رجاء سرور في لقاءات التكون المهني في منتدى المعلمين في نعلين.

كانت معلماتي قويات الشخصية، حازمات، وعلى الرغم من هذا، كنت ألمس فيهن الكثير من الطيبة والعطاء، إضافة إلى مهارتهن في إيصال المعلومة لنا نحن الطلاب. وعلى الرغم من أنني كنت من دولة أخرى ولست سعودية، فإني لم أجد منهن أي نظرة عنصرية، ولم يشعرنني يوماً بالدونية أو النقص.

كنت أشارك دوماً في الاحتفالات المدرسية، وفي الإذاعة الصباحية، والسبب حثهن الدائم لي وتشجيعهن. أذكر ذلك اليوم حيث كنت في الصف الخامس الابتدائي، قامت طالبة بوضع علبة ألوان في حقيبتي واتّهمتني بسرقتها، لكن المعلمة أخبرت الطالبات أنه لا يمكن أن يصدر مني مثل هذا الفعل، وظلت تحقق في الموضوع حتى ظهرت براءتي، وأمرت الطالبة الكاذبة بالاعتذار لي أمام الطالبات في طابور الصباح على الرغم من أن تلك الطالبة كانت سعودية وأنا فلسطينية.

أيام المدرسة كنت أحب حصة اللغة العربية كثيراً، لأنني كنت أحب معلمة المادة جداً، وكنت استمتع بحصتها كثيراً، وأتمنى أن لا تنتهي الحصة، بينما أذكر أنني كنت أخاف من حصة العلوم، لأن معلمة العلوم كانت تؤذينا حين تضربنا.

المعلمات زرعن في نفسي حلماً ورغبة ظلت تنمو وتكبر حتى تحققت اليوم بأن أصبحت معلمة، أربي أجيالاً كما تربيت، تلك الفترة التي كانت من أجمل أيامي الدراسية وأهمها، انتهت حين اضطرتنا الظروف للانتقال والعودة للوطن فلسطين، وهنا بدأت مرحلة أخرى مختلفة، وعلى قدر مماثل من الأهمية.

هنا كانت المفارقة، كل شيء مختلف، شكل المدارس كانت مغلقة الساحات، لها مظلات، الصفوف مهيأة للصيف والشتاء، يوجد

فيها تكيف، وفي مدرستي الأولى كانت الصفوف مفروشة بالسجاد، وتوجد أيضاً غرفة إسعاف وغرفة إذاعة مدرسية. وكانت كل طالبة لها مقعدها الخاص، وكل بداية فصل يجب على مربية الصف أن تجلس مع طالباتها، ويضعن التجاليد على المقاعد والجدران لتزيين الصف، وعمل لوحات، تبدأ بسور من القرآن والأحاديث النبوية، وتتناول بعض المعلومات في الرياضيات، والعلوم، واللغة الإنجليزية، وكانت تلك الوسائل تعد بمساعدة خطاطين مهرة. مناهج التعليم في السعودية كانت تتوسع في مواد الدين والتفسير والتوحيد والفقه والقرآن والتجويد والحديث، وكل قسم من هذه الأقسام كان يشكل مادة كاملة. واللغة العربية مقسمة إلى مواد القراءة، والمحفوظات، والنصوص، والتعبير، والإملاء، وهذا مختلف تماماً عن المناهج في فلسطين. وأساليب التدريس كانت كثيراً ما تفسح المجال للتعليم العملي التطبيقي، حيث كنا دائماً ندخل مختبرات العلوم وغرفة الطبخ والتفصيل والخياطة وغرفة الفن، والزي المدرسي، واللهجة، ... كل شيء كان مختلفاً. ومن أكبر العقبات التي واجهتني، اللغة الإنجليزية، ولا أنسى صدمتي في أول حصة، حيث وجدت نفسي لا أفقه شيئاً مما يقولون، ذلك أني كنت متأخرة بمراحل عن بقية زميلاتي لاختلاف المنهج بين السعودية وفلسطين.

فقد كن زميلاتي بدأن بتكوين جمل بالإنجليزية، بينما لم أكن قد أخذت إلا الحروف والأرقام، لكن بمساعدة زميلاتي وموقف معلماتي الراقي تجاوزت هذه المحنة، إذ كانت معلمة اللغة الإنجليزية تخصص لي في كل يوم حصة تعلمني فيها اللغة والحروف والكلمات، وتحاول تشجيعي ورفع معنوياتي، وأنا كنت أبذلُ جهداً مضاعفاً، حيث كنت أسهر في الليل وأستيقظ باكراً لأستغل كل لحظة في الدراسة، وهذا الأمر جعلني أبذل جهداً مضاعفاً، وأبدأ في السير بخطوات سريعة في تعلم اللغة الإنجليزية والتأقلم معها.

اجتمعت المديرة بالمعلمات لأخذ قرار بترفيعي للصف التالي، أو إبقائي في صفي الحالي لتقويتي في اللغة، لكن تسامحاً منهن ورحمة بي، تم أخذ القرار بترفيعي نظراً لأني كنت متفوقة في كل المواد الأخرى. شعرت بالراحة والامتنان لهن وشكرتهن على ذلك بعد أن كنت خائفة كثيراً وارتقب قرار المديرة بتوتر وخوف.

مرحلة الثانوية العامة مهمة لكل طالب، وهكذا كانت لي. درست وتعبت وبذلت جهداً ككل الطلاب، نجحت وتخرجت ومنه انطلقت للتعليم العالي.

اختار لي والدي تخصصي وكليتي، لأنني كنت واثقة باختياراته وخبرته الواسعة في الحياة، وبحكم أني أحمل بطاقة لاجئ، فقد كان خيار دراستي هو دار المعلمين التابعة لوكالة الغوث، وأنا تقبّلت الموضوع بارتياح وبعض التوتر من دخولي عالماً جديداً. وحينما

جانب من مشاركة المعلمة رجاء سرور في لقاءات التكون المهني في منتدى المعلمين في نعلين.

بدأت أخوض مسار التعليم في تخصصي «برمجة حاسوب»، أحببته كثيراً وارتحت لهذا الاختيار الصحيح من قبل والدي. كانت ظروف الدراسة صعبة، لأن تلك الفترة شهدت اندلاع انتفاضة الأقصى، وكنت كثيراً ما أعاني من أجل الوصول إلى رام الله من بلدي نعلين، كل يوم ذهابا وإياباً، حتى اضطررت في آخر فترة للعيش في سكن طالبات في رام الله مدة شهرين كاملين، وغبت فيهما عن أهلي للمرة الأولى في حياتي.

عامان أمضيتهما أدرس برمجة الحاسوب دون أن يكون عندي جهاز حاسوب في البيت، كان هذا إحدى الصعوبات التي واجهتني في دراستي العليا. وأيضاً من الصعوبات أنني كنت في الفرع الأدبي، ودراستي للتخصص العلمي، وهكذا أمضيت دراستي وتخرجت حاصلة على شهادة الدبلوم في برمجة الحاسوب. منذ ذلك اليوم جلست في البيت مدة فصل كامل، توظفت بديلة، وتنقلت فيها بين أكثر من مدرسة في فترات مختلفة، حتى تم تثبيتي. تفاجأت جداً في البداية بقرار تعييني، حيث لم أكن أتوقع حدوثه بهذه السرعة، فرحت كثيراً لأن هذا يعني استقراري الوظيفي. أول زيارة لي لمدرستي الجديدة كانت مريحة جداً، حيث أن المديرة كانت مريحة في التعامل، ما أعطاني فكرة إيجابية عن المدرسة ومنحني ارتياحاً في الدوام والتعامل مع الإدارة والمعلمات.

مررت بالكثير من المواقف أثناء مزاولتي مهنة التدريس، منها المفرح حيث أنني أذكر أول تكريم لي كمعلمة في احتفال تخريج طلبة الثانوية العامة، حينها شعرت أن تلك البذرة أتت أكلها. ومن الأمور التي أحزنتني كثيراً، عندما كنت أرى الطالبات ذوات الاحتياجات الخاصة، لأنهن يواجهن صعوبات كثيرة في حياتهن، ما يدفعني لمساعدتهن قدر الإمكان. ومنها المتعب الذي كان له أثر في حياتي. ومن المواقف المتعبة، مسؤوليتي عن اليوم المفتوح العام الماضي، وذلك لأنني بذلت جهداً كبيراً في إنجاح الحفل. ومن أكثر المواقف السلبية التي مررت بها، تعرضي مع باقي المعلمات للشتم والكلام الفاحش من قبل طالبة في المدرسة، وتم رفع كتاب للتربية في أمرها ونقلها لمدرسة أخرى.

خلال هذه المسيرة، حصلت على الكثير من الدورات التدريبية لتطوير القدرات والمهارات التعليمية، من أبرزها وأمتعها دورة «الدراما في التعليم» التي نفذها مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، والتي نمّت قدراتي التفكيرية. ومن خلال اطلاعي على مناهج التعليم المختلفة خلال الدورة، تكونت تبين لي أن المناهج الدراسية الفلسطينية معقدة، وأعلى من مستوى الطلبة، وغير مترابطة، فكل صف لا يعتمد على سابقه. الآن، وبعد مرور عشر سنوات من مزاولة مهنتي الرائعة كمعلمة، كونت فيها خبرة لا بأس بها، وتعلمت وما زلت أتعلم، والعلم بحر لا ساحل له.

مدرسة بنات خربثا بني حارث الثانوية

جانب من مشاركة المعلمة رجاء سرور في لقاءات التكون المهني في منتدى المعلمين في نعلين.